القيادة الإدارية في منظومة القيم الدينية

بقلم : الأستاذ زياد زامل أبو مخ

إن تميّز الشخصية الإسلامية في مجالات وأنشطة الحياة يعود إلى القيم الدينية .

وليس قولنا حماسًا للإسلام فقط ولا غضًا من قيمة أنتجتها الحضارات الإنسانية ؛ بل لحقيقة تم العمل بها حولت المجتمع الإنساني بسبب خيريته وربانيته وقيمه الدينية ، التي فجرت طاقات العمل وأعدت الشخصية الإسلامية إعداداً تميزت بتربيتها الإسلامية عن تربويات أخرى أعرضت عن ربط التربية بالقيم الدينية ، كما رأى ديوي (توفي عام ١٩٥٢) أو أجلته إلى مراحل متأخرة في التربية كما نجده عند جان جاك روسو (توفي ١٧٧٨) .

ولما كان العمل القيادي من أصعب الأعمال الإنسانية وأدقها ، فإننا ما زلنا بحاجة إلى علماء ومفكرين يأخذون على عاتقهم مهمة تقديم نموذج للمجتمع في موضوع بناء القيادات التربوية على أساس قيمي ، علمًا أن البعض تعتبر القيادة الإدارية عملاً سهلاً في حين يرى

الدارسون في شؤون القيادة الإدارية غير ذلك ، وسر ذلك في أن القيادة الإدارية هي موهبة يمنحها الخالق تعالى للإنسان مع الظفر بما يقرأ ويدرس ويشاور .

ومع أن كلية الشريعة والدراسات الإسلامية خطت خطوات واسعة في هذا المجال وفي حدود إمكانياتها لكنها ما زالت تؤمن بحاجة الجهود الجماعية لتنظيم نظام إداري وتشكيل القيادة الإدارية على أساس من القيم الدينية ليكون نموذجًا أمثل لسائر المؤسسات التعليمية في وطننا العربي والإسلامي ، وإنني أناشد أساتذة الكلية وغيرهم من الشخصيات العاملة في حقل التربية حشد جهودهم لوضع خطط تربوية على أساس من القيم الدينية وتقديم البدائل العملية والعلمية في هذا الاتجاه .

ولقد كان باعثًا على السرور أن تقوم كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بإصدار هذه المجلة لتكون أملاً في إثراء عملية البحث في موضوع القيادة الإدارية الإسلامية والسؤال الكبير : ما علاقة القيادة الإدارية كعلم والإسلام كدين؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا بد أن نسأل : ما علاقة العلوم الإنسانية بالدين؟ بعد أن نقوم بتعريف العلم والدين .

أ. العلم «عبارة عن مجموعة من القضايا التي تطرح حول محور (عام أو كلّي) ويتم البحث ضمن أساليب تتناسب وطبيعة القضايا .

وعلى سبيل المثال فطبيعة القضايا الفلسفية والرياضية تتناسب والأساليب العقلية ، وطبيعة القضايا الكيماوية تتناسب والأساليب التجريبية ، وطبيعة العلوم التاريخية تتناسب والأساليب النقلية .

البعض يعتبر الإدارة عملاً سهلاً في حين يرى الدارسون في شؤون الإدارة غير ذلك ، وسر ذلك في أن الإدارة هي موهبة يمنحها الخالق تعالى للإنسان مع الظفر بما يقرأ ويدرس ويشاور .

صحيح أن القيادة الإدارية يصعب علينا أحيانًا تحليلها لأنها لا تخضع عادة لقواعد واضحة لإصدار الأحكام السليمة عليها ، إلا أن القيم الدينية كنمط سلوكي سيظل أساسًا للاقبال على العمل بنشاط وإخلاص ، وسأحاول في هذه الدراسة أن أوكد أن القيادة الإدارية لن تقوم بإدارة مهامها وتحقيق ما تصبو إليه من غايات دون واقع قيمي ، فإدارة نشاط إنساني دائم وعملية أخلاقية تعمل على تحقيق

أهدافها باستخدام الجهد البشري ، وبالاستعانة بالموارد المادية المتاحة .

إن القيادة الإدارية لن تقوم بإدارة مهامها وتحقيق ما تصبو إليه من غايات دون واقع قيمي ، فالقيادة الإدارية نشاط إنساني دائم وعملية أخلاقية تعمل على تحقيق أهدافها باستخدام الجهد البشري ، وبالاستعانة بالموارد المادية المتاحة .

ب. أما تعريف «الدين» فإن لهذه الكلمة استعمالات مختلفة ومتشابهة وأوضح تعريف له (**مجموعة من العقائد التي تتمحور حول الله وما وراء الطبيعة إضافة إلى سلسلة من القيم والأحكام والأوامر المنسجمة مع تلك العقائد**) .

وعلى هذا الأساس فإن أقساماً مهمة من العلوم الإنسانية تجد لها علاقة مباشرة مع الدين فالمجتمع الذي يؤمن بنظام القيم الدينية فإنه سيكون له بعد قيمي خاص من حيث علم النفس وعلم الاجتماع وسيبني نظاماً سلوكياً خاصاً .

مع الإشارة إلى ما ذكر ، فإنه يمكن بيان علاقة الإسلام بالإدارة ، فمن جملة مفهوم الإدارة الإسلامية دراسة القيادة الإدارية رغم الحاجة إلى معرفة دقيقة للخصال التي تبرهن على إسلامية القيادة الإدارية ، ونشير هنا إلى أهم التصورات الإسلامية التي تؤكد على القيم الدينية كأس لبناء القيم الدينية والقيادة الإدارية والتي اكتسبتها من فضيلة الشيخ عفيف بن حسني الدين القاسمي ، حيث كان لشخصيته المشعة وفكره اللامع وتربيته الحكيمة في رعاية الكلية والاقتداء به باعثاً على تأصيل عمل الخير وتنمية المهارات وتفجير الطاقات في بناء القيادة الإدارية على أساس من الهدى الإلهي والوازع الديني ، وصدق الله تعالى :﴿أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده﴾ .

لقد كان لشخصية فضيلة الشيخ عفيف بن حسني الدين القاسمي المشعة وفكره اللامع وتربيته الحكيمة في رعاية الكلية والاقتداء به باعثاً على تأصيل عمل الخير وتنمية المهارات وتفجير الطاقات في بناء القيادة الإدارية على أساس من الهدى الإلهي والوازع الديني ، وصدق الله تعالى :﴿أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده﴾ .

الاعتقاد :

يخضع سلوك القيادة الإدارية تحت تأثير العقيدة حتى ولو أظهر سلوكاً مغايراً لعقيدته

إلا أنه لا يستطيع على المدى البعيد إخفاء تأثير هذه العقيدة على آرائه وسلوكه ، فسلوك القيادة الإدارية يجب أن يكون مبنيًا على العقيدة السوية والتبعية لله تعالى .

القدرة على التحكم بالنفس :

القيادة الإدارية يجب أن تمارس عملها بكل ما تواجه من صعوبات من خلال التحكم بالنفس لتتمكن من أداء الواجب وتنسيق شؤون العمل فرغم التعامل مع واقع القضايا بدقة ، إلا أن التحكم بالنفس يمنح هذه القيادة الإدارية قوة دافعة للعمل باطمئنان وصلابة .

الانصاف :

إن تطبيق هذا المبدأ يجعل الأفعال والأقوال عادلة ويؤدي إلى زيادة روح التضحية والوفاء عند العاملين في المؤسسة وأهدافها .

يقول الإمام علي رضي الله عنه «انصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك» .

الانضباط :

ويدل الانضباط على إطاعة العاملين في المؤسسة للتعليمات وتنفيذها وبذل كل مستطاع للقيام بها وجعل سلوكهم مطابقًا لها وعليه فالقيادة الإدارية يجب أن تكون من ذوي السلوك العادل وأن تطبق العقوبات على أساس الحكم السليم . يقول الإمام علي كرّم الله وجهه :«ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريبًا لأهل الإساءة على الإساءة، والزم كلاً منهم ما ألزم نفسه .

القيادة الإدارية يجب أن تمارس عملها بكل ما تواجه من صعوبات من خلال التحكم بالنفس لتتمكن من أداء الواجب وتنسيق شؤون العمل فرغم التعامل مع واقع القضايا بدقة ، إلا أن التحكم بالنفس يمنح هذه القيادة الإدارية قوة دافعة للعمل باطمئنان وصلابة .

جمع المعلومات وفحصها :

تحتاج القيادة الإدارية إلى جمع المعلومات وفحصها لمعرفة قدرات وإمكانيات العاملين معها ، ومعرفة سوابقهم الحسنة والسيئة ، ليسهل اختيار الأصلح من بينهم لتسلم المسؤوليات دون نشر هذه المعلومات في المؤسسة أو نقلها إلى الأشخاص أنفسهم لأن ذلك قد يؤدي إلى آثار نفسية غير مريحة .

محبة العمل والإيمان بقيمته :

إن محبة العمل من أهم عوامل النجاح فهو ينفض غبار التعب عن نفسية الإنسان ، ويذكي روح الإبداع عنده ويقضي على العقبات . ففي

اختيار القيادة الإدارية لا بد من معرفة إيمانه بقيمة العمل واختبار قابلياته، وقد قيل «في كل رأس رغبة، والسعيد من يكتشفها».

فالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا من أبرز القيادات الإدارية في مجتمعاتهم، وقد نجحوا في أصعب الظروف والسبب في نجاحهم هو إيمانهم بعملهم، وقد وصف القرآن الكريم الرسول ﷺ بقوله: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله﴾.

القيادة الإدارية هي لا التي تعتبر عملها لقمة دسمة لها بل هي أمانة الناس في عنقها، وخيانة الأمانة عمل قبيح ونجاحها يكون بالتصدي بروح طاهرة وخلق رفيع وسمو بالطبع وخوف من الله تعالى لكل المشاكل على الساحة، فالقيم الدينية تفرض على القيادة الإدارية أن تضع القدرة الروحية وقوة الإرادة في مواجهة الميول الشخصية.

التضحية والحرص:

القيادة الإدارية هي لا التي تعتبر عملها لقمة دسمة لها بل هي أمانة الناس في عنقها، وخيانة الأمانة عمل قبيح، ونجاحها يكون بالتصدي بروح طاهرة وخلق رفيع وسمو بالطبع وخوف من الله تعالى لكل المشاكل على الساحة، فالقيم الدينية تفرض على القيادة الإدارية أن تضع القدرة الروحية وقوة الإرادة في مواجهة الميول الشخصية.

سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ مرة: «لم لا تستعملني؟ (أي لماذا لا توليني إحدى ولايات الدولة الإسلامية) فوضع الرسول ﷺ يده على كتف صاحبه وأجابه بل لطف وود: «إنك لضعيف وإنها لأمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»".

وقد أشار سيدنا يوسف عليه السلام حين قال ملك مصر بعد أن رأى طهارة نفس يوسف عليه السلام ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين. قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ يوسف: ٥٤، وهنا إشارة إلى ركني الإدارة وهما:

١. **الأمانة.**

٢. **العلم.**

سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ مرة: «لم لا تستعملني؟ (أي لماذا لا توليني إحدى ولايات الدولة الإسلامية) فوضع الرسول ﷺ يده على كتف صاحبه وأجابه بل لطف وود: «إنك لضعيف وإنها لأمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»".

ونرى حين أدركت بنت شعيب عليه السلام حال موسى عليه السلام وطهارة نفسه قالت

لأبيها ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ القصص : ٢٦ .

العلم والقدرة

والمراد بالعلم هو الفكر المتعلق بالموضوع الملقى على عاتق القيادة الإدارية ، والقدرة هي القدرة الجسدية والروحية التي تدفع بصاحبها إلى العمل الجاد ، ولذا فالقرآن الكريم حين يعرف طالوت كقائد للجيش ﴿قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ البقرة : ٢٤٧ . ويقول ﷺ :"من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أن فيهم من هو أدرى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنّة نبيّه ، فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين" سنن البيهقي جـ١٠ ص١١ .

العدالة بين العاملين :

يجب على القيادة الإدارية الاهتمام بتحقيق العدل بين جميع العاملين معه والمساواة بينهم ، علمًا أن المساواة أحيانًا تكون خلاف العدالة إلا إذا تساوى اثنان في نفس الخصائص .

وقد حضّ القرآن الكريم على تحقيق العدالة بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين﴾ سورة النساء ١٣٥ .

المشورة :

الاستشارة هي إحدى الأصول المهمة للقيادة الإدارية ، لأنها تنتفع من أفكار الآخرين فتضاعف قوتها ، ولكن المهم في الاستشارة هو أن الحزم في اتخاذ الرأي الأخير يبقى في يد القيادة الإدارية بعد تمحيص الأفكار والآراء

والقرآن الكريم يصرح بأهمية الاستشارة :

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ سورة الشورى: ٣٨.

وحول الموضوع الثاني :

﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ سورة آل عمران : ١٥٩

يجب على القيادة الإدارية الاهتمام بتحقيق العدل بين جميع العاملين معه والمساواة بينهم

ويقول الرسول ﷺ: «ما من أحد يشاور أحد إلا هدي إلى الرشد» مجمع البيان، جـ٥ ذيل الآية ٣٦ من سورة الشورى .

ويقول الإمام علي كرّم الله وجهه :«من شاور الرجال شاركها في عقولها» نهج البلاغة الحكمة ١٦١ .

اتخاذ القرار الحاسم :

القيادة الإدارية تقف على رأس هرم المؤسسة ، ووفقًا لموقعها التنفيذي فهو مركز ثقل الأفكار والمقترحات وتجميعها وتحليلها

وبالتالي اتخاذ قرار العمل ، ومن هنا فإنه بحاجة إلى إرادة صلبة لاتخاذ القرار الحازم دون تردد أو توانٍ ، والإعلان عن رأيه بالاعتماد على الله تعالى مع ما أشرنا إليه في مسألة الاستشارة واحترام آراء الغير .

التواضع :

القيادة الإدارية الحقّة هي التي ترى في التواضع مع جميع العاملين معه دعامة قوية يعطف عليهم ويفرغ من وقته لسد حاجاتهم .

القيادة الإدارية الحقّة هي التي ترى في التواضع مع جميع العاملين معه دعامة قوية يعطف عليهم ويفرغ من وقته لسد حاجاتهم .

وأرى من الضرورة وضع صندوق للشكاوى والاقتراحات حيث يطلب من جميع العاملين كتابة مقترحاتهم ومشاكلهم ووضعها في ذلك الصندوق مع الحرص على أن يخصص المدير اجتماعًا مع العاملين لإضفاء جو الأمان والعطف وللاستماع إليهم دون حرج أو خوف .

اللين والشدة :

إن الرسل والأنبياء عليهم السلام هم مديرو المجتمع الإسلامي فقد وصفهم الله تعالى «المبشرون والمنذرون» والواقع أن هذين العنصرين أساس التوازن في الهداية والإرشاد .

(البشارة) لوحدها تكون سببًا للجرأة والمعارضة غير البنّاءة ، و(الإنذار) لوحده سبب لليأس والإحباط ، فإذا كانت القيادة الإدارية تبتسم دائمًا في مقابل مخالفات العاملين فإنه سيوقظ فيهم روح الجرأة مما يسبب الإرباك والضعف الإداري وبالمقابل إذا استعمل أقسى العقوبات في أبسط مخالفة دون إبداء المسامحة فإن ذلك سيخلق للعاملين اليأس والقنوط .

الصبر وسعة الصدر وقبول النقد :

القيادة الإدارية عليها أن تتمتع بسعة الصدر في مواجهة المشاكل وتتحلى بصفة الثبات والقدرة على إطفاء نار الاعتراضات ومقابلة المعترضين بروح عالية ، وكأن الذي

(البشارة) لوحدها تكون سببًا للجرأة والمعارضة غير البنّاءة ، و(الإنذار) لوحده سبب لليأس والقنوط

سمعه لم يسمعه مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ سورة فصلت: ٣٤ .

وله أن يتخذ القرارات الحساسة بدقة

وعقلانية دون أن يفقد هدوءه وهيبته ، فسلوكه المتواضع الجاد وعاطفته المخلصة يستطيع أن يجذب إليه محبة العاملين ، وفي النتيجة

القيادة الإدارية الناجحة هي التي تنظر للمستقبل في مرآة اليوم ، وتتابع كل تطور علمي وتقني ومعرفي وتتعرف على الوسائل والأدوات الجديدة حتى لا تصاب بالركود في عملها .

سيزيد الإنتاج دون أن يتعرض أحد للظلم .

ولما كانت القيادة الإدارية مهما أوتيت من العلم والحلم لا تخلو من الخطأ والنقص ، ويجب أن ترى خطأ عملها في مرآة أفكار الآخرين والتعامل مع نقدهم بالإنصاف والاستماع إليهم بآذان صاغية ووضع ما تراه مفيداً موضع التنفيذ .

متابعة التطورات :

إن العالم في حالة تحول مستمر وغير دائم فالقيادة الإدارية الناجحة هي التي تنظر للمستقبل في مرآة اليوم ، وتتابع كل تطور علمي وتقني ومعرفي وتتعرف على الوسائل والأدوات الجديدة حتى لا تصاب بالركود في عملها .

رعاية المقاصد المعنوية :

سمو الإنسان بخصائصه الإنسانية وقيما المعنوية تعتبر أساس النمو الإنساني ، فالشخصية القيادية يجب أن تعطي الأولوية لرعاية المقاصد المعنوية للعاملين معها .

هذه أهم خصائص القيادة الإدارية ومن خلالها يمكن استنباط جوانب تفصيلية أخرى تؤكد الارتباط بين القيادة الإدارية والقيم الدينية وإخضاعها للبحث والاستقراء والتطبيق ، وإنني أرى أن الكلية وزميلاتها من الكليات تتحمل الدور الكبير في أن تتخذ من معالجة الأزمة القيمية للمجتمع العربي والمسلم محوراً لنشاطها ومنطلقًا لأهدافها ، حيث عليها أن تزود طلبتها بما يحتاجون من توعية فكرية والعمل على تشكيل قيادات تربوية وتجعل من القيم الدينية أساسًا لسلوكها ، واستصحاب هذه القيم في مجالات الحياة المختلفة وتطبيقها على الواقع لضبط حركة المجتمع وحراسته المنهج الإسلامي بمنهج التجديد والوعي الدائم وضبط حركة المجتمع في ضوء معطيات العصر وحاجاته .

ابن حزم الأندلسي

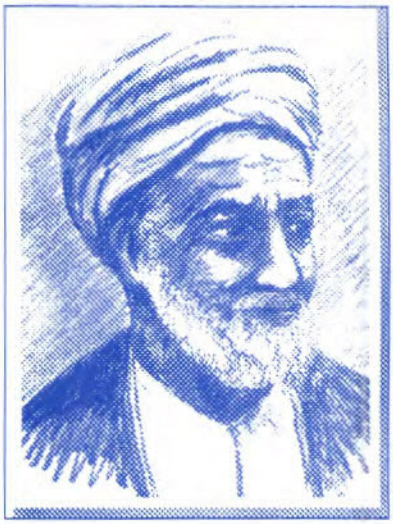

بقلم : الأستاذ مفلح مهنا

تمهيد :

دفعني إلى كتابة هذا المقال عن ابن حزم الأندلسي اطلاعي على كثير من آرائه الفقهية أثناء دراستي لكتاب فقه السيرة للدكتور محمد سعيد البوطي، خالف فيها أئمة العلماء، فأحببت في هذه العجالة أن ألقي الضوء على هذه الشخصية الإسلامية الكبيرة .

نشأته :

ولد ابن حزم واسمه علي في قرطبة في بيت كريم من والد عظيم اسمه أحمد الذي كان رئيسًا للوزراء في عهد المنصور بن أبي عامر ، فنشأ ابن حزم نشأة كريمة فيها نباهة شأن، ورجاحة عقل، وحرية رأي، وجرأة منطق، وطموح إلى المعالي، ومغامرات في سبيل الاحتفاظ بالمجد والتسامي فيه .

لقد توفرت لابن حزم عوامل النبوغ والنهوض واجتمعت له أسباب كثيرة ترفع ذكره وتذيع صيته، وندر أن يحفظ التاريخ ما حفظه له من مقومات العظمة وبواعث الإجلال التي كانت مثار إعجاب محبيه والمعجبين به ومثار كره مبغضيه وشانئيه والحاقدين عليه .

عصره :

من خلال دراستنا لعصره نجده قد نشأ في الأندلس أواخر عهد دولة بني أمية ، وعهد ملوك الطوائف . وفي هذه الفترة نلمس اضطرابًا سياسيًا كبيراً ، نرى تنافسًا عظيمًا للوصول إلى السلطة ، نشاهد تمزقًا في الدولة فتنقسم الدولة العظيمة إلى إمارات متنافرة ، إمارات تظهر ، وأخرى تزول ، شخصيات تبرز يكون لها السلطان وأخرى يطويها النسيان .

ثقافته :

تثقف ابن حزم بثقافة عصره ، فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ، وتلقى علوم الحديث رواية ودراية ، وحفظ متون العلوم المختلفة من